

تفوق الطب الوقائي في الإسلام

﴿ د. عبد الحميد القضاة ﴾ (*)

معلوم أن الطب قد تقدم تقدماً مدهشاً، خاصة فيما يتعلق بالتشخيص والعلاج، ومع أن النظرية الطبية الحديثة أصبحت تتجه نحو الوقاية، إلا أن الطب الوقائي بشكل عام كان أقل خطأً من غيره، لذا أصبح العام يعج بما تخلفه المخدرات من أمراض، وما تنشره الفاحشة من أوبئة فتاكة، رغم كثرة المستشفيات ولا المراكز الطبية المتقدمة، ورغم سهولة التشخيص، وتوفر العلاجات، و تضافر الجهود الصحية محلياً ودولياً.

وهذه الورقة، دراسة مقارنة، تظهر ما يتميز به الطب الوقائي في الإسلام من خصائص عظيمة على نظيره في القرن العشرين.

والطب الوقائي كما يعرفه البروفيسور ونسلو: "هو العلم المتعلق بمنع انتشار الأمراض الجرثومية والأمراض الجراثومية والنفسية والعضوية لتحسين أداء الأفراد والمجتمعات. وكل ما يقدمه العلم للحفاظ على الفرد جسمياً وسنيا يسمى صحة الفرد، أما ما يقدمه للحفاظ على الجماعات والبيئة التي يعيشون فيها فيسمى صحة المجتمع

أم الطب الوقائي في الإسلام، فقد أرست قواعده منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان، يوم كان العالم يغط في سبات عميق، وقد جاءت هذه الأسس على شكل تعاليم عامة، تتضمن أوامر ونواهي، يمارسها المسلم تعبداً لله تعالى، وإن كان لا

(*) أستاذ اختصاصي في علم الجراثيم والأمصال، مستشار الطب الوقائي في المستشفى الإسلامي. مدير المختبرات التخصصية - إربد، الأردن. والدراسة من الأبحاث المختارة في المؤتمر العلمي الأول عن: "الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد - باكستان.

يعلم حقيقة فوائدها الصحية، وإنما يمارسها امتثالاً لأمر الله.

وعندما تقدمت العلوم في القرن العشرين، واكتشفت الأمراض ومسبباتها، وعرفت الجراثيم ووسائل انتقالها، وظروف معيشتها، بدأت تتكشف لنا بعض الحقائق الصحية، والحكم الطبية المذهلة التي تنطوي عليها التعاليم الإسلامية الخالدة، فزادتما نورا على نور، ومن يرزق تضلعا بالقرآن والسنة، يجد أن الإسلام لم يترك جزءا من الطب الوقائي إلا وأشار إليه بعموميات واضحة بذلك الخطوة الأولى، تاركا لعقل الإنسان ومختبراته أن يبحث على هداها.

والطب الوقائي في الإسلام ينقسم إلى قسمين رئيسيين يتضمن كل منهما مجموعة من الأوامر والنواهي، تكمل بعضها بعضا، وتؤدي دورا هاما في مجاها وهذين القسمين هما:

أولا: التعاليم الخاصة بصحة الفرد

ثانيا: التعاليم الخاصة بنظافة البيئة وصحة المجتمع

أولا: صحة الفرد: وضع الإسلام مجموعة من التعاليم والإرشادات، للحفاظ

على صحة الفرد، ليبقى معافى في جسمه ونفسه، ويمكن قسمتها إلى أربعة أقسام يكمل كل واحد منها الآخر وهي:

1) النظافة الشخصية لمنع الأمراض الجرثومية: وهذه تنأتى من مجموعة من الممارسات اليومية التي يقوم بها المسلم عبادة لله تعالى وهي:

أ) الوضوء: يتكرر عدة مرات يوميا، وينظف الأجزاء المكشوفة من جسم الإنسان، وهي الأكثر تلوثا بالجراثيم، وقد أثبت علماء الجراثيم على السستيمتر المربع من الجلد الطبيعي، وفي المناطق المكشوفة يتراوح العدد بين 1-5 مليون/سم² وهذه الجراثيم في تكاثر مستمر، حتى قد تصل إلى ضعف ذلك في ساعة، وللتخلص منها لابد من غسل الجلد باستمرار، ولا غسل أكثر ديمومة وتكرارا من الوضوء الذي أمرنا الله به، وحثنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((لا تقبل صلاة بغير طهور)) وقال: ((من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياها من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره)) ومع أن الوضوء واجب لأمرين، إلا أنه سن لأمر عديده.

صلى الله عليه وسلم: ((حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجلده)) وقال أيضا: ((غسل يوم الجمعة على كل محتلم وسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه)). وقد سن لنا الرسول الكريم الغسل في مواقف عديدة كغسل الجنابة، والحيض والنفاس، والجمعة والعيدین وغيرهن كل ذلك من شأنه أن يجعل من المسلم متميزا في نظافته.

(ج) نظافة الفم: الفم مدخل رئيسي للجسم، منه تعبر أرتال من الجراثيم الضارة، وفيه تستقر أنواع وأعداد عائلة من الجراثيم البكتيرية والفيروسية والطفيلية، وقد زادت أنواعها في فم الإنسان عن مائة نوع كما تقدر أعدادها أحيانا بالملايين وأخرى بالبلالين في الملتر المكعب الواحد من اللعاب وهي تتغذى على بقايا الطعام المتسرب على الأسنان وبينهما، وينتج عن نموها وتكاثرها أحماض وإفرازات كثيرة، تؤثر على الفم ورائحتهن وعلى الأسنان ولونها وأدائها ومن الأمراض التي تسببها تسوس الأسنان والتهابات اللثة.

(ب) نظافة الجسد: جلد الإنسان هو أوسع عضو فيه، إذ تبلغ مساحته حوالي مترين مربعين، وعليه من الجراثيم ما لا يمكن حصرها. وخير تشبيه للجلد ذاك الذي ذكره الدكتور كلقمان، حيث شبه الجلد بما عليه من أنواع الجراثيم البكتيرية والفيروسية والطفيلية التي لا يعلم أعدادها إلا الذي خلقها، وما بينها من عدوات وحروب، وما لها من أشكال ومتطلبات، شبهه بالكرة الأرضية بما عليها من مخلوقات حية، وما بينها من اختلافات شتى. وربما يزيد عدد الجراثيم المختلفة على الجلد الطبيعي على عدد سكان الأرض قاطبة. وهناك دراسات عديدة قام بها علماء متخصصون منهم البرفسور فايندوف الذي أثبت أن الاستحمام الواحد يزيل عن جلد الإنسان أكثر من مئتي مليون جرثومة، ولأن هذه الجراثيم لا تقف لحظة عن التكاثر، فلا بد من إزالتها بشكل دوري ومستمر، لتبقى أعدادها قليلة، بحيث يستطيع الجسم مجاقتها، ومن أسرار الطب الوقائي في الإسلام أن جعل النظافة أمرا تعبديا مما يجعل فيها روحا وديمومة لا يستطيعها أي قانون آخر. قال

ومنذ عهد الرومان حتى القرن السادس عشر انتشرت في أوروبا عادة المضمضة بالبول، وقد كانوا يفضلون البول الإسباني، فإن لم يتيسر استعاضوا عنهبول الثيران. ولم يهتم نظام بنظافة الفم كالإسلام، حيث أن نظافة الفم ترد في الوضوء (المضمضة) وخلخللة الأسنان من بقايا الطعام، واستعمال السواك في جميع الأوقات حتى أثناء الصيام، قال صلى الله عليه وسلم ((أكثرت عليكم بالسواك)) وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ما لا أحصي يستاك وهو صائم).

وقد أثبت العلم الحديث أن التسوس يحدث نتيجة اجتماع عدة عوامل منها فضلات الطعام ووجود الجراثيم وتخرس سطح السن، فعندما تتوفر هذه العوامل تنو الجراثيم وتتكاثر وتحدث تغيرات على سطح السن واللثة، فتنبعث الرائحة، وتسوس الأسنان وتميل إلى الصفرة وعند المضمضة واستعمال السواك، تزال بقايا الطعام تلقائيا كما تزال الجراثيم كذلك، أما المواد الكيميائية التي تفرز من السواك، فتتحد مع لعاب الإنسان، لتصبح أكثر فاعلية في قتل

الجراثيم فعند إزالة بقايا الطعام والجراثيم باستعمال السواك دوريا تقل الفرصة أمام المرض في فم المسلم.

(د) سنن الفطرة: واستكمالا للنظافة الجسدية والمظهر المتزن، جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليمات واضحة، أطلق عليها اسم سنن الفطرة، حيث قال: ((خمس من الفطرة، الاستحداد والختان وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار))، وقد كشفت لنا العلوم الطبية عن أهمية صحية بالغة لمثل هذه الممارسات، فترك الأظفار مجلبة للمرض، حيث تتجمع تحته الملايين الخلايا الجرثومية، وبذا يلعب الأظفار دورا بالغا في نقل الأمراض البكتيرية والفطرية والطفيلية والفيروسية، ولأن اليد أسرع تلوثا من غيرها بحكم عملها، فقد أعطاها الإسلام عناية خاصة، فسن استعمال اليد اليمنى في تناول الطعام والمصافحة، واليسرى في الاستنجاء، مع التشديد على نظافة اليد بشكل خاص، قال صلى الله عليه وسلم: ((بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده)) وهكذا يصبح ترك الأظفار دون تقليم، مأوى

وهذه تقل كثيرا عند الختان، أما سرطان عنق الرحم فهو أقل عند نساء المسلمين من غيرهن نتيجة ختان أزواجهن، وهناك أمراض (تصيب العضو الذكري) لا علاج لها إلا الختان.

وأما قص الشارب: فلأن الشارب إذا طال تلوث بكل ما يشربه الإنسان، وبالتالي يساعد على تلوث الفم، علاوة على أن بعض الجراثيم قهوى العيش على مادة الشعر نفسها، بالإضافة إلى أنه يسبب إزعاجا ونوعا من الحساسية لبعض الزوجات. وهناك أحاديث كثيرة ذكرت أموراً أخرى من سنن الفطرة وكل له دور هام في النظافة.

أما انتقاص الماء (الاستنجاء) فله دور خاص في النظافة حيث أن التخلص من بقايا البراز مهم جدا من الناحية الصحية، حيث أثبتت الدراسات أن الغرام الواحد منه يحتوي على مئة ألف مليون خلية عدا عن الجراثيم الأخرى التي لا يعلم أعدادها إلا الذي خلقها، و كثير من الأمراض الجرثومية تنتقل بتلوث اليد بكمية قليلة من البراز، ورغم قلتها يوجد فيها ملايين الجراثيم، وقد ثبت أن حاملي جرثومة التيفوئيد ربما يكون

مناسبا للجراثيم مهما حاول الإنسان تنظيفها، وهناك أمراض كثيرة وعديدة تنقلها الأظافر غير النظيفة ذكرها الدكتور سامان في كتابه (الأظافر ودورها في جراثيم الأمراض) المنشور عام 1987.

أما الاستحداد فله أهمية صحية على الإنسان من نواح شت، فمن الناحية الصحية ساعد ترك الشعر العانة في البلاد الشرقية والغربية على نشر مرض خاص يسمى تقمل العانة حيث أصبح من الأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي، ويسببه نوع من القمل لا يعيش إلا على شعر العانة، ويصاب به أعداد كبيرة سنويا في الغرب من الذكور والإناث.

وأما نتف الإبط: فلأن الإبط مكان كثير التعرق، وبذا تتجمع فيه الأوساخ، التي تشكل وسطا مهما لنمو الجراثيم خاصة الفطرية منها، ناهيك عما يصدر منه من رائحة، وعند نتف الإبط، تقل فرصة تجمع مثل هذه الأوساخ وبالتالي تقل الجراثيم.

أما الختان: فعند الذكور مدعاة للنظافة، حيث أن القلفة هيئ وسطا ماسبا تحتها لنمو العديد من الجراثيم التي تسبب التهابا كثيرة،

في الغرام الواحد من برازهم أكثر من خمسة وأربعين مليوناً من بكتيريا التفوئيد.

أما مريض الديزنتاريا البكتيرية أو الطفيلية أو مريض الكوليرا وغيرها فمن المستحيل إحصاء أعداد الخلايا الجرثومية التي تخرج منهم يومياً لكثرتها. ولكن تلوث اليد والملابس لهما دور كبير في نشرها، لذلك ركز الإسلام على استعمال اليد اليمنى للأكل و المشرب و المصافحة و اليد اليسرى للاستنجاء. حيث قال صلى الله عليه وسلم: ((لا يمكن أحدكم ذكره بيمينه و هو يتبول ولا يتمسح من الخلاء بيمينه ولا يتنفس في الإناء)).

وقد أثبتت دراسة أجريت في كلية طب جامعة مانشستر أن البكتيريا تنفذ من ثماني طبقات من الورق التواليت إلى اليد وتلوثها أثناء عملية التخلص من بقايا البراز، وهكذا يبقى الماء أفضل وسيلة للنظافة.

5) التنزه من البول: البول مجموعة من المواد السامة، يتخلص منها الجسم عن طريق المجاري البولية، فهو بالإضافة إلى المواد الكيميائية التي يحتوي عليها، ملوث

بالعديد من الجراثيم حتى في حالات الجسم الطبيعي، وعلم الجراثيم السريري يعتبر أن صاحب البول، مريض بالتهاب المجاري البولية إذا زاد عدد الجراثيم عن مئة ألف جرثومة في الستيمتر المكعب الواحد من البول، أما إذا قل العدد عن ذلك فلا يعتبر صاحبه مريضاً وهكذا يكون البول مملوءاً بالجراثيم في أحسن الأحوال، وتلوث الملابس به يعني تلوثها بمواد سامة وجراثيم كثيرة، لذا يركز الإسلام على نظافة الملابس ويجنبها التلوث به «وثيابك فطهر».

وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرين فقال: ((إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يتتره من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)).

وهكذا عندما تكون هذه الممارسات جزءاً من حياة المسلم اليومية، تصبح احتمالية إصابته بالأمراض الجرثومية ضئيلة جداً، ومهما بلغت التعليمات الحديثة من الدقة فلن تكون لها قاعدة جماهيرية عريضة، كذلك التي تمتد شرقاً وغرباً امتداداً العالم الإسلامي ذاته.

2. العناية الشخصية لمنع الأمراض

العضوية:

أ.تنظيم الطعام وفرض الصيام: الإفراط في الطعام يؤدي للسمنة وتصلب الشرايين ومرض النقرس وغيرها، وقد ثبت أن الصيام وتقليل الطعام خير علاج، ذلك لأن المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء، وللإسلام نظرية الاعتدال في الطعام: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

وشهر رمضان من الناحية الصحية كالإجازة السنوية للموظف، فهو يريح المعدة، ويذيب بعض ما تراكم من دهنيات في الجسم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ب. الحث على الرياضة البدنية:

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، فتعليم الأولاد الرماية والسباحة وركوب الخيل وتحمل الأعباء وكل ما من شأنه أن يقوي أجسامهم أمور يحبها الله ورسوله، لأن صاحب الإيمان القوي أقدر على الجهاد وتحمل المشاق في سبيل دينه ووطنه.

3. الحث على المعالجة والبحث عن

الدواء الصحيح: معلوم بداهة أن الله خلق الداء وخلق له الدواء، ولا يستوي في الإسلام القعود والالتكال مع البحث عن العلاج، فالمسلم مأمور بالأخذ بالأسباب، والرسول الكريم يقول: ((لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل)) ولا يخفى ضرر ترك المرض دونما علاج على الفرد والمجتمع.

4. الإيمان وأثره في الشفاء من

الأمراض: يقوي الناحية النفسية ويحمي من أمراض القلوب، وينشط جهاز المناعة، فيصبح الجسم أقدر على مقاومة الأمراض، علاوة على أن الإسلام يعتبر المرض مكفرا للذنوب، وبهذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم: ((ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)) وللدكتور بول أودلف باع طويل في إثبات ما للحالة النفسية والمعنوية عند الإنسان من أثر في الأمراض العضوية والشفاء منها.

ثانيا: نظافة البيئة وصحة المجتمع: إن

تركيز الإسلام على صحة الفرد، يهيئ لنا

أمراض كثيرة كالتيفوئيد. والذئبانيا والكوليرا.

(ج) منع اقتناء الكلاب إلا للضرورة:

وهذا يعني عدم الفرق بالحيوان، ولكن الإسلام بالإنسان أرفع، وقد أثبت العلم الحديث أن الكلاب تنقل أمراضا كثيرة للإنسان كداء الكلب والكي المائي.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((من اتخذ كلباً إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية، انتقص من أجره كل يوم قيراط)).

2. الاهتمام والحذر من وسائط نقل

الأوبئة: وهي بشكل رئيسي، الهواء ينقل الخناق والسل، والماء ينقل الكوليرا والبلهارسيان والطعام وينقل التسمم وشلل الأطفال.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:
 ((غطوا الإناء وأوكوا السقاء، فإن في
 السنة ليلة يترل فيها وباء، لا يمر بإناء
 ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء،
 إلا نزل فيه من ذلك الوباء)).

3. قواعد صحية لمنع انتشار الأوبئة:

فيها اليوم كثيرة، منها الخانوق، والسل

من سبعمائة وخمسين مليوناً من الشباب والشابات بهذه الأمراض الجنسية.

ولهذه الأطعمة والأشربة الممارسات الخاطئة من آثار سلبية على صحة الفرد وصحة المجتمع، فقد حرمها الإسلام في حكم تزيله كما حرم مجرد الاقتراب منها والتفكير فيها حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾.

خصائص الطب الوقائي في الإسلام: إن المتبع لنظرية الطب الوقائي في الإسلام، يستطيع إدراك الخصائص التالية فيها وهي:

1. قصب السبق: مجموعة القواعد الوقائية في الإسلام، سواء كانت وحياً يتلى أو وردت على لسان الذي لا ينطق عن الهوى، إنما هي غطت من التشريع والأحكام، الذي أعقب في نزوله العقيدة، وبالتالي نزلت المجتمع أسلم قيادته لله تعالى بادئ ذي بدء، ويستطيع المتبع لها، القادر على استنباط الأحكام منها أن يصوغها في قوانين وأنظمة وتعليمات، شأن سائر الأحكام التي استنبطها ويستنبطها فقهاء المسلمين من آيات الأحكام الواردة في القرآن الكريم، وهي حلقة من مجموعة حلقات تهدف إلى

الرئوي، والجذري، وداء الكلب والكوليرا والرسول الكريم يقول ((لا يوردن ممرض على مصح)).

قاعدة الحجر الصحي: وتطبق في مرض الطاعون والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرار منه)).

4. تحريم بعض الأطعمة والأشربة والزنا واللواط:

تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير: والله تبارك وتعالى يقول: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾.

تحريم الخمر والمخدرات: والله تبارك وتعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾.

ج) تحريم الزنا واللواط وكل ما يفضي إليهما: والعالم الآن يئن من وطأة الأمراض الجنسية التي أصبحت تتصدر قائمة الأمراض المعدية، حيث يصاب في العام الواحد أكثر

إسعاد البشرية. لتتحقق عمارة الأرض وخلافة المسلم فيها، وهي تدل بوضوح تام على أن الذي أنزلها إنما أراد قيام بيئة إسلامية ومجتمع إسلامي سليم. والإنسان في المنظور الإسلامي أفضل خلق خلق الله وأحبهم إليه، فإذا ما تحققت به صفة العبودية لله، أحاط بسياج من التشريعات لتستقيم على هديها وفي ظلالها أحواله، ومن حملتها هذه القواعد الوقائية.

ومعلوم بداهة أنها تعود زمنيا إلى الفترة التي انقطع بها وحي السماء عن الأرض، كما هو معلوم أيضا أنه كان في هذه الفترة وبعدها وقبلها بآلاف السنين أمم و حضارات، ولعل أقربها زمنيا إلى تلك الفترة حضارات الروم والأنباط، وأقربها جغرافيا حضارات ما بين النهرين واليمن والحبشة ووادي النيل، وقد نبغ أصحاب هذه الحضارات في كثير من الفنون التي لازالت ماثلة للعيان في العديد من ديارنا الإسلامية، ومع هذا لم تدل مخلفاتهم من نقوش وكتب إلى ما يشير إلى إحتواء هذه الحضارات على قواعد صحية كتلك التي نراها في الإسلام. الأمر الذي يجعل من هذا السبق خصيصة

تنفرد بها نظرية الطب الوقائي في الإسلام، ويعطيها الأولوية على سائر الحضارات.

2. المصادقية: إن الحقيقة العلمية الصحيحة تطابق تمام المطابقة، الحقيقة العلمية الواردة في القرآن الكريم ولا السنة المطهرة، ومع أن الإسلام ليس متهما يحتاج إلى دليل وشهادة لبراءته، إلا أن مثل هذه المطابقة تزيد المؤمنين إيمانا، وتزداد معها عظمتهم في نفوسهم، عندما تصبح بدهيات الإسلام الذي أنزل قبل أربعة عشر قرنا من الزمان هي غاية ما يصبو العلم الحديث الوصول إليه، وهكذا لا تزيده الأيام إلا بريقا وامعانا، شأن المعادن الثمينة التي تحتفظ بقيمتها وبريقها مهما تقام الزمن وعلت التراكمات.

3. البساطة واليسر: إن المتتبع لنظرية الطب الوقائي في الإسلام يلاحظ فيها خاصية البساطة في التكليف واليسر في التنفيذ، فهي لا تستلزم كلفة مالية تثقل الكاهل، ولا جهدا مرهقا يفقد الهمم، ولا وقتا يقل من العطاء والإنتاج، ولا مشقة تفوت معها متعة. فلو قدرت ما يحتاج إليه تطبيقها في حياة الأفراد والجماعات من مال وجهد ومشقة لأدركت فيها خاصية

البساطة واليسر، فكم هو المال والوقت اللازمين لعملية السواء والوضوء والختان والاستحداً وتقليم الأظافر و تنف الإبط وطهارة البدن والثوب؟ وكم هو الجهد اللازم لتجنب الملاعن الثلاث وعدم الوطء في الحيز والنفاس وعدم الوقوع في الزنا؟

4. المؤهل: إن الباحث في نظرية الطب الوقائي في الإسلام، لابد وأن يلاحظ تطبيقها في حياة الأفراد والجماعات لا يحتاج إلى مراسيم خاصة، أو إجراءات معقدة، تستلزم قدراً عالياً من المعرفة أو حداً متميزاً من الذكاء أو مؤهلاً علمياً معيناً، فهي من البساطة واليسر بحيث يكفي أن يلاحظها الطفل الصغير معاشة في بيت والديه، ليعتادها عادة تنتهي بعد مدة إلى عبادة يتبغى بها وجه الله تعالى.

5. الذاتية في التنفيذ: لئن احتاج التعليم آلاف المربين، والصحة والسلامة إلى مثل ذلكم من الفنيين والمتخصصين، والتجارة والتموين إلى مثله لمراقبة الالتزام وحسن التنفيذ. فإن تطبيق نظرية الطب الوقائي في حياة الأفراد والجماعات في المجتمع الإسلامي لا يحتاج إلى شيء منذ ذلك،

فالالتزام بقواعدها يتم تلقائياً بتوارثه الأبناء عن الآباء ثم تصبح في نفوسهم جزءاً من عقيدتهم، وعبادة يتقربون بها إلى الله، وبالتالي لا يسمح المسلم لنفسه أن ينخلع عن هذه القواعد، لأنه يعتقد أن جسمه عنده أمانة ينبغي المحافظة عليه، وأنه على ثغرة من ثغر الإسلام، يحرص أن لا يؤتى المجتمع الإسلامي من ثغره. وهكذا لا يستلزم تطبيقها في حياة الناس إلى جهاز صحي متخصص يتولى المراقبة والمتابعة.

6. الشمولية: إن شأن القواعد الوقائية في الإسلام شأن سائر الأحكام والتكاليف الواردة في القرآن الكريم من حيث قوة الإلزام ووجوب النفاذ، وتتميز عن نظرية الطب الوقائي الحديث بشموليتها، إذ أنها تتعامل مع الإنسان على أنه مادة وروح، وعلى أنها ملزمة لكل من تحققت به صفة الإسلام، فهي إلى جانب وقاية الإنسان من كل مكروه، نتيجة إحاطته بهذا السياج الأمين من الأحكام والتكاليف، تغوص إلى أعماقه، فتخاطب به نفسه وقلبه الذي بين جنبيه وتماثلها بمحبة الله والخوف منه والرجاء بما عنده، وأن ما عنده أكثر وأعظم مما قد يخطر على بال بشر، وبالتالي تسمو

فبهذه الواقعية في التعامل مع الإنسان جنبته ويلات الأمراض الجنسية التي تن منها اليوم المجتمعات الرقية والغريبة على السواء.

8. التركيز على نظرية الوقاية: تتولى مجموعة القواعد الوقائية في الإسلام قيادة أمر المسلم قبل وقوعه فريسة للأمراض، بل منذ أن تحققت به صفة الإسلام، فهي لا تنتظره حتى يمرض لتباشر عملها، إنها معه من بداية المشوار، تسد عنه كل نافذة قد تؤذيه، وتضع دونها الحواجز والعراقيل حتى لا تصل إليه: «ولا تقرّوا الزنا إنه كان فاحشة

وساء سبيلاً» وبعد هذا إن حصل واجتاح ديار الإسلام وباء ما، فإنها تأمر الذين فيه، الصبر عليه واحتسابه امتحانا من الله يكفر به خطاياهم ثم البقاء في مكائهم وعدم القدوم عليهم حتى يصرف الله عنهم هذا الوباء ووعد الذي يقضي في هذا المرض بأن له الجنة: ((من مات مطعوناً فهو شهيد)) لقاء تفضيله مصلحة المجتمع على مصلحته.

9. الديومة: إن الالتزام بقواعد الطب الوقائي في الإسلام، ليس مرهونا بمدة محددة ولا بسن معينة ثم يحال صاحبها على المعاش، إنما يستمر الالتزام بما طيلة حياة

بما عما عند الناس، وهكذا تفيض النفس الإنسانية قناعة وطمأنينة لا يتعايش معها غل أو طمع ولا حقد ولا ضغينة و لا كراهية ولا يأس أو حسد تلك التي أورثت النفوس الخالية من الإيمان أمراضا يستعصي علاجها بغير الإيمان فقد أودت بحياة الملايين من الناس نتيجة الإدمان على المخدرات والجنس والممارسات الخاطئة، وهكذا تعني نظرية الطب الوقائي في الإسلام بالإنسان ونفسه وقلبه وبيئته.

7. الحماية من الأمراض الجنسية: نظرية الطب الوقائي لم تنصب شراكا للإنسان حتى يقع في الفخ ثم تتولى معالجته، ولم تفترضه ملاكا يدب على الأرض، بل تعاملت معه على أنه مادة وروح وله عواطف وأحاسيس، وأن بين جنبه غريزة يجب إشباعها، وبالتالي لم تترك له الأمر على الغارب، بل جففت مسبقا كل موارد الجريمة وكل طريق يؤدي إليها أو يثير كوامن النفس للتفكير فيها، فمنعت الاختلاط والتبرج والخلوة واللباس الفاحش والزينة المحرمة، والنظرة المحرمة، ثم وضعت له الضوابط الكفيلة بتلبية غريزته الجنسية بلا رهبانية خانقة ولا إباحية بهيمية. وهكذا

يرافقه ترك للصلاة، وترك الصلاة يسقط فريضة الوضوء وفريضة الغسل من الجنابة والحي والنفاس، كما يسقط سنة السواك وسنن الفطرة، وهكذا فالتنازل عن حلقة، يجر إلى التنازل عن عدة حلقات غيرها، حتى ينفرط عقد السبحة عن آخره.

الخلاصة: هذه الورقة دراسة مقارنة

بين الطب الوقائي في القرن العشرين ونظرية الطب الوقائي في الإسلام وقد أتينا على تعريف الطب الوقائي المعاصر، وعلى شيء من التفصيل لنظرية الطب الوقائي في الإسلام، في حدود ما وسعنا الوقت، حيث تبين أن الإسلام لم يترك شاردة ولا واردة تتعلق بالطب الوقائي إلا وذكرها تلميحا أو تصريحاً، تاركاً لفقهائ المسلمين مهمة استنباط الأحكام والأنظمة والتعليمات من هذه النصوص. ثم خلصنا إلى خصائص نظرية الطب الوقائي في الإسلام التي فاقت الطب الوقائي المعاصر. والحمد لله على نعمة الإسلام.

المسلم على الأرض ذلك لأنها جزء من عقيدته، لذا يبقى قائماً عليها، ملتزماً بها حتى يوارى التراب، فإذا تخلف عن تنفيذها يكون قد ترك تكليفاً شرعياً وعطل حكماً من أحكام الإسلام ربما يخرج من دائرة الإسلام إذا ما أصر على إنكاره، وبهذه الديمومة يضمن الإسلام مسلماً قوياً ومجتمعاً نظيفاً.

10. إن مجموعة القواعد الوقائية في الإسلام رغم كمالتها وكفايتها الصحية للفرد والمجتمع، ورغم سهولة تنفيذها وديمومة التزام المسلم بها، إلا أنها لا تؤتي ثمارها إذا ترك المسلم الالتزام ببقية الأحكام الشرعية الأخرى، فهي جزء من نظام كامل متكامل، ينفع البشرية إذا سلمته زمامها وولته قيادتها، أما الالتزام ببعض أحكام الإسلام وترك البعض الآخر، كما هو شأن المسلمين اليوم، فهو نوع من الالتزام الممقوت الذي لا يضمن ولا يغني من جوع، ونوع من التخبط وهدر الوقت والجهد، فترك الصيام مثلاً

